

المعالجة الآلية لضوابط الكتابة العربية

د. مصطفى حركات
ج. الجزائر

1. قضية الكتابة العربية اليوم

أ. أصبحت الكتابة العربية اليوم أداة لتدوين لغات الضاد ولغات أخرى يتكلمها الملايين من الناس، واعتاد عليها القراء، وحل الحاسوب قضاياها المرتبطة بالطباعة وشاع استعمالها عند الأجانب بحيث أن الباحثين منهم عزفوا عن التدوين بواسطة الحروف اللاتينية وأصبحوا يعاملونها كلغة حية على جميع مستوياتها.

ب. الكتابة العربية قريبة جدا من الكتابة الصوتية وذلك لأن التقابل بين المكتوب والمنطوق تقابل أحادي وهي بذلك تفوق العديد من الكتابات الغربية وأخص بالذكر اللغة الفرنسية حيث تعدد الرموز للصوت الواحد واختلاف نطق الحروف جعل إملاءها من بين الأنظمة الأصعب تناولا.

هل يعني هذا أن كتابتنا مثالية لا تشكو من أي عيب؟ الجواب هو بطبيعة الحال: لا.
ج. يعرف الجميع صعوبات فك الرموز في العربية بالنسبة للمبتدئين وحتى بالنسبة للمتخصصين عندما تكون النصوص قديمة مثل هذا البيت الشعري للأخطل:

يا قل خير الغواني كيف رغن به فشربه وشل فيهن تصريح

القضية تؤول كلها إلى وضع الشكل وضبط الحروف. الحل بين أيدينا. فلنضبط نصوصنا! ولكن لماذا لا نفعل ذلك؟

د. إن سهولة قراءة الشكل العاري من الضوابط في كثير من الأحيان تجعل التشكيل من ميدان اللغو.

من يحتاج إلى ضوابط لقراءة هذه الجمل؟

- خرج المعلم
- كتبت الدرس
- الجو بارد

2. ملكة القارئ وملكة الحاسوب

تقرأ الجمل البسيطة المذكورة بسهولة لأنها موجهة لقارئ له ملكة ما في العربية. ولكن قارئاً مثالياً في الخلو من الملكة، قارئاً يعرف الحروف ولا يعرف الكلمات والتراكيب، لن يستطيع أبداً أن يقرأ هذه الجمل.

الحاسوب هو ذلك القارئ المثالي في خلوه من الملكة اللغوية، وإذا أردنا منه أن يقرأ الجمل السابقة فإنه من اللازم علينا أن نعطيه شيئا من هذه الملكة.

وتكمن القراءة هنا في وضع الشكل لأننا لما نضع الأشكال يصبح اقتران المكتوب بالمقروء هينا، والإعلاميون الذين يبحثون في ميداني التعرف على الكلام أو إنتاج الكلام يعرفون هذا جيدا.

يستطيع الحاسوب اليوم أن يقرأ النصوص المكتوبة في العديد من اللغات ولكن الكتابة العادية في العربية، الكتابة الخالية من الضبط تجعل الأمر عسيرا ومستحيلا. وقد أصبحت قراءة الحاسوب بالنسبة للغتنا ملخصة في المعادلة:

قراءة = تشكيل

إذا حللنا قضية التشكيل أو اقتربنا من حلها فإننا سنحل حتما قضية القراءة الآلية.

3. الملكات الثلاث

وبإمكاننا أن نتساءل: ما هي الملكة اللغوية التي يتطلبها نص مثل: خرج المعلم، كي يقرأ، هذه الملكة يمكن تجزئتها إلى ثلاث ملكات:

- ملكة صوتية
- ملكة معجمية-صرفية
- ملكة تركيبية نحوية.

هذه الملكات الثلاث هي الملكات اللازمة لقراءة الجمل السابقة، ويمكننا أن نضيف ملكة رابعة هي الملكة الدلالية البراقمية. فجملة مثل: فتح الباب

لا يمكنها أن تقرأ كما يلي: فَتَحَ البابُ

والمانع ليس نحويا لأن الباب قد يكون مبدئيا فاعلا، وإنما المانع دلالي تداولي، فالباب لا يستطيع أن يفتح شيئا لأنه ينتمي إلى غير العاقل وهذه الفئة من الأسماء لا تستطيع أن تكون فاعلا في هذا السياق.

الملكة الصوتية

نقصد بالملكة الصوتية هنا شيئا خاصا غير ملكة النطق في حد ذاته. وإنما نقصد بهذه العبارة ملكة مرتبطة بالمكتوب. ففي الفرنسية مثلا نطق الحرف المكتوب S هو سين في كل من:

Sa, juste, responsable

وهو زاي في كل من:

Maison, rose, ruse,

والحرف c هو كاف في col وهو سين في ce .

وتتجلى هذه الملكة في العربية في بعض اقتران المكتوب بالمنطوق على مستوى أولي هو ما نسميه بالملكة الصوتية .

وفي العربية هذه الملكة تتجلى في بعض القواعد الصوتية مثل عدم الابتداء بالساکن الذي يمنع ورود / فَتَحَ / و / كَتَبَتْ / و / مَنْزَلَ / في الفصحى والتقاء الساكنين يمنع ورود : / الْمَعْلَمَ / أو / أَصْبَحَ / ...

وهناك قاعدة أخرى ينساها الكثير ولكن يطبقها القارئ بصفة مستمرة وهي عدم تراكم المتحركات في الكلمة الواحدة . فهذه القاعدة هي التي تجعل إسناد / كَتَبَ / إلى الضمير / تْ / تؤول من / كَتَبْتُ / إلى / كَتَبْتُ / وهي التي تقود / است + فعل / إلى / اسْتَفْعَلَ / بإسكان الفاء . عدم رتبة توالي المتحركات هي قاعدة إيقاعية كما أن عدم التقاء الساكنين في العربية قاعدة إيقاعية خاصة بها .

فالقواعد الصوتية للقراءة العربية هي هنا قواعد إيقاعية قبل كل شيء . وإذا قارنا بين العربية والفرنسية فإننا نرى أن في الفرنسية قواعد القراءة على المستوى الصوتي هي قواعد سياق ففي هذه اللغة الحرف s مثلاً هو زاي بين صائتين وهو سين خارج هذا السياق والحرف c هو سين قبل صائت وكاف في باقي السياقات . وعملية القراءة في الفرنسية هي البحث عن صوت لكل حرف مكتوب أو مجموعة من الحروف . أما في العربية فعملية قراءة النص العاري من الشكل هي إقران صوت برمز غائب . وهذا البحث عن الغائب هو الذي ربما يجعلنا نشعر أحياناً بالصعوبة في فك الرموز الصعبة .

الملكة المعجمية-الصرفية

لننظر إلى تشكيل جملة مثل : جاء الشتاء

إذا كانت فتحة الجيم حتمية وناتجة عن كون الألف مسبوقة بفتحة فإن فتحة الهمزة ناتجة عن معرفة للكلمة / جاء / وكذلك الشأن بالنسبة لكسرة / الشتاء / ... ومعرفة الكلمات هي ملكة معجمية-صرفية .

لو ترجمنا / جاء الشتاء / إلى الفرنسية لتحصلنا على :

L'hiver est arrivé

قراءة الكلمة / est / يتطلب المعرفة المعجمية لها لأن السياق وحده يجعلها تنطق : t+s+e ولكن الكلمتين / hiver / و / arrivé / لا تتطلب أي ملكة معجمية .

ففي الكتابات الصوتية الغربية عموماً الملكة المعجمية المطلوبة من القارئ ضعيفة أما في العربية فإنها دائمة الزوم. ولا غرابة إذن أن من يحسن القراءة هو من كان معجمه ثرياً.

وأحسن دليل على هذا هو بيت الأخطل:

يقلن إذا ما استقبل الصيف وقدة وحر على الجد الظنون فأنفذا

فمن يعرف أن الجد هنا هو بمعنى البئر؟

الملكة التركيبية النحوية

هذه هي الملكة الثالثة المطلوبة من القارئ. وهي تتجلى في حركات الإعراب عموماً ولكنها لا تقتصر على ذلك فكلمة / قلن / في البيت السابق تقرأ بكسر القاف لأن / قلن / فعل يتطلب مفعولاً به هو غائب هنا. فالفعل / قلن / هو إذن لازم وهو قال يقيل قيلولة...

فوضع حركة القاف يتطلب المعرفة المعجمية للفعليين: / قال، يقول / و / قال، يقيل / والمعرفة النحوية التي تتجلى في غياب المفعول به.

ملكة الحاسوب

من الواضح أن ما يمكننا أن نزود به الحاسوب من ملكات ما زال ضعيفاً. وهذا على المستوى الدولي عموماً. وذلك لأن اللغة شيء معقد لا يمكن أن نحدد له قواعد رياضية تصفه الوصف الكامل. وأحسن دليل على هذا هو أن الترجمة الآلية التي كانت وسط البحث اللغوي الحديث وصلت إلى طريق مسدود. وقد قال في هذا الشأن عالم لغوي معروف: نحن كنا نعلم من البداية أن الطريق مسدود وأننا في وضع رجل في العصر الحجري يريد أن يذهب إلى القمر! ولكن الحاسوب اليوم أصبح يملك ذاكرة قوية بحيث أن الملكة الصرفية مثلاً لم تصبح بالنسبة له مشكلة...

المساعدة على التشكيل أو تصحيح النص المشكل أصبح الآن ممكناً.

ويقتضي هذا منا أن نتناول كتابتنا بمنطق آخر. ادخل مثلاً في محرك بحث مثل قوقل Google، الكلمة {عروض} وأنت تقصد عروض الخليل. فإنك ستلتقي بمواقع عدة مثل العروض الاقتصادية وعروض الأزياء والرقص لست في حاجة إليها. وهي تأخذ صدارة قد تحول بينك وبين موضوع بحثك.

هذا اللبس ناتج عن تجانس في الكتابة غير وارد في اللغة.

التجانس في المكتوب هو الذي جعل البعض يقول بأننا نقرأ في اللغات الحديثة لنفهم ويلزمنا أن نفهم في العربية كي نقرأ.

هذه المقولة مبالغ فيها . فبساطة لغة الصحافة اليوم، وانغلاق معاجم النصوص العلمية والإدارية على مصطلحاتها، تجعل القراءة سهلة بالنسبة للشخص العادي . ولكن ثراء بعض النصوص الأدبية يتطلب جهدا خاصا .

ومن الناحية التربوية فإنه بإمكاننا أن نشير إلى أمرين :

- القراءة لها من بين الأهداف تقوية الملكة اللغوية ولكن غياب الشكل يجعلها عاجزة على مهمتها على أكمل وجه .
 - اهتمام الأجانب بالعربية أصبح واقعا اليوم . والصعوبة الأولى التي تواجه الأجانب هي القراءة وذلك لأنهم يملكون آليات لفك الرموز غير آلياتنا ...
- ويصبح من أجل ذلك وضع الشكل مستحبا بل ضروريا .